

الحياة الثقافية والفكرية في عصر النبوة وصدر الإسلام حتى نهاية العصر الأموي

(١٣٢٢ هـ / ١٩٠٤ م - ١٣٢٢ هـ / ١٩٠٤ م)

Cultural and intellectual life in the era of prophet hood and the early
Islamic period until the end of the Umayyad era
(1 AH / 622 AD - 132 AH / 750 AD)

م. م. ديانا ثائر كمال ابراهيم

وزارة التربية العراقية - المديرية العامة لتربية ديالى

التاريخ

Diana Thaer Kamal Ibrahim

Muhammedayad923@gmail.com

Iraqi Ministry of Education - General Directorate of Diyala Education

موبايل 07722826788

الاستلام (Received) : ٢٠٢٦ / ٠٦ / ١٨	التعديل (Revision) : ٢٠٢٦ / ٠٧ / ٠٨
القبول (Accepted) : ٢٠٢٦ / ٠٧ / ٢٦	النشر (Published) : ٢٠٢٦ / ٠٩ / ٣٠



This work is licensed under a [Creative Commons Attribution](https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

[4.0 International License](https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

المستخلص

شهدت الحياة الثقافية والفكرية في عصر النبوة وصدر الإسلام تحولاً جذرياً مقارنة بما كان سائداً في العصر الجاهلي، حيث انتقل المجتمع العربي من ثقافة تعتمد على الرواية الشفوية والشعر إلى ثقافة قائمة على الوحي الإلهي والعلم والمعرفة المنظمة. وكان نزول القرآن الكريم الأساس الأول لهذا التحول، إذ دعا إلى القراءة والتفكير والتعلم، مما أسهم في بناء مجتمع واعٍ فكرياً.

في عصر النبوة، الذي ارتبط بحياة النبي محمد ﷺ، برزت ملامح ثقافية جديدة تمثلت في نشر مبادئ التوحيد، ومحاربة الخرافات، وترسيخ القيم الأخلاقية والعلمية. وقد كان المسجد، وخاصة المسجد النبوي، مركزاً رئيساً للتعليم والتثقيف، حيث تُعقد فيه حلقات العلم لتعليم القرآن والحديث والفقه. كما ظهرت الكتابة بشكل أوسع من خلال تدوين الوحي، وبرز عدد من الكُتّاب الذين عُرفوا بكتّاب الوحي.

أما في صدر الإسلام (عصر الخلفاء الراشدين)، فقد استمرت الحركة الفكرية في التطور، حيث تم جمع القرآن الكريم في مصحف واحد في عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم نسخه وتوحيده في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه. كما توسعت العلوم الإسلامية لتشمل التفسير والحديث والفقه، وبدأت بوادر التدوين العلمي بالظهور.

الكلمات المفتاحية : الحياة ،الثقافية ، الفكرية ، النبوة ، الإسلام

Abstract

Cultural and intellectual life in the Prophetic era and the early Islamic period witnessed a radical transformation compared to the pre-Islamic era. Arab society transitioned from a culture based on oral tradition and poetry to one founded on divine revelation, science, and organized knowledge. The revelation of the Holy Quran was the foundation of this transformation, as it called for reading, reflection, and learning, contributing to the development of an intellectually aware society.

During the Prophetic era, which is closely linked to the life of the Prophet Muhammad (peace be upon him), new cultural features emerged, including the dissemination of the principles of monotheism, the combating of superstitions, and the establishment of ethical and scientific values.

The mosque, particularly the Prophet's Mosque, served as a primary center for education and learning, where study circles were held to teach the Quran, Hadith, and jurisprudence. Writing also became more widespread through the recording of revelation, and a number of scribes emerged, known as the scribes of revelation. In the early Islamic period (the era of the Rightly Guided Caliphs), intellectual activity continued to develop. The Holy Quran was compiled into a single volume during the reign of Caliph Abu Bakr al-Siddiq (may God be pleased with him), and then copied and standardized during the reign of Caliph Uthman ibn Affan (may God be pleased with him). Islamic sciences also expanded to include exegesis, hadith, and jurisprudence, and the beginnings of scholarly documentation began to emerge.

Keywords: Life, Scientific, Bukhara, Century

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في محاولة فهم طبيعة الحياة الثقافية والفكرية في عصر النبوة وصدر الإسلام وحتى نهاية العصر الأموي، والكشف عن مدى تأثير التحولات السياسية والدينية والاجتماعية في تشكيل البنية الفكرية والثقافية للمجتمع الإسلامي.

وتبرز المشكلة البحثية في محاولة الإجابة عن السؤال الرئيس التالي:

- كيف تطورت الحياة الثقافية والفكرية في عصر النبوة وصدر الإسلام حتى نهاية العصر الأموي، وما العوامل التي أثرت في هذا التطور؟

فرضية البحث:

شهدت الحياة الثقافية والفكرية تطوراً تدريجياً نتيجة انتشار الإسلام، واتساع الدولة، والتفاعل مع الحضارات الأخرى.

أهمية البحث:

إبراز دور الإسلام في بناء الفكر والثقافة ، وفهم الأسس التي قامت عليها الحضارة الإسلامية المبكرة.

أهداف البحث:

- تكمن أهمية البحث في عدة جوانب، منها:
 - إبراز الدور الحضاري للإسلام في بناء الحياة الثقافية والفكرية.
 - فهم جذور النهضة العلمية والفكرية في التاريخ الإسلامي.
 - تسليط الضوء على تأثير التحولات السياسية في تشكيل الفكر والثقافة.
 - إثراء الدراسات التاريخية المتعلقة بالعصور الإسلامية المبكرة.
 - تقديم مادة علمية تفيد الباحثين والطلبة في مجال التاريخ الإسلامي.

المبحث الأول**الحياة الثقافية والفكرية في عصر النبوة وصدر الإسلام**

(١٤١ هـ / ٦٢٢ م – ٤١ هـ / ٦٦١ م)

التعليم والتربية، همت المهمة الأساسية للنبي ﷺ، وهي تكليف من ربه ذي الجلال والإكرام، وأمرًا منه ليعلم الناس الكتاب والحكمة ويربّي أنفسهم ويزكّيها.

كان للرسول الكريم منهج في تبليغ أصحابه لا يتعدى منهج القرآن العظيم، وكان الرسول مُبَلِّغًا لكتاب الله تعالى، مُبَيِّنًا أحكامه، مفسرًا آياته، إذ نزل القرآن الكريم مُنْجَمًا عَلَى صدر النبي مُحَمَّدٍ ﷺ لمدة ثلاث وعشرين سنة، ونبينا الكريم يبلغ قومه، والناس حوله، ويفصل تعاليم الإسلام، يؤدي ويطبق أحكام القرآن، إذ كان معلمًا وحاكمًا وقاضيًا ومفتيًا وقائدًا طيلة حياته - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، فكل ما يتعلق بالأمة الإسلامية في جميع شؤونها، دقيقها وعظيمها، فكل ما يتم للأفراد والجماعة في مختلف جوانب حياتهم، مما لم يرد في القرآن فهو من السنة، العملية أو القولية أو التقريرية، ومن ثم نجد لدينا أحكامًا وآدابًا وعبادات وقربات شرعتْ وَطُبِقَتْ وَسُنَّتْ خلال ربع قرن.

السنة لم توضع دفعة واحدة كمجموعة من الشرائع الوضعية، أو الأحكام الخلقية، التي يملئها البعض من الحكماء والوعاظ، حيث شرعتْ لتربية الأمة دينيًا واجتماعيًا وخلقياً وسياسياً، في السلم والحرب، في الرخاء والعسر، حيث تتناول النواحي العلمية والعملية، إذ لم يكن من السهل أن ينقلب الناس فجأة، ويتركوا بين عشية وضحاها تعاليمهم القديمة، وديانتهم .(شاکر، ٢٠٢٣ : ٩٢)

حيث تم تدرّج القرآن الكريم في انتزاع العقائد الفاسدة والعادات الضارة، ومحاربة المنكرات التي كان عليها الناس في الجاهلية، و بالتدرج أيضًا العقائد الصحيحة، والعبادات، والأحكام، إذ دعا إلى الآداب السامية والأخلاق الفاضلة، وشجع الذين أيدوا الرسول ﷺ على الصبر والثبات وفي هذا كله كان الرسول الكريم يُبَيِّنُ الْقُرْآنَ، ويفتي الناس، ويفصل بين الخصوم ويقم الحدود، وَيُطَبِّقُ تعاليم القرآن، وكل

ذلك سنة، حيث سنتناول الآن منهج الرسول الأعظم ﷺ، في ذلك كله، مُتَوَخِّينَ الإيجازَ، إذ لدراسة أسلوبه ومنهجه لأثرًا بعيدًا في تثبيت سُنَنِ الرسول ﷺ ولولا ذلك لَمْ نَتَعَرَّضْ لدراسته، كان الرسول الكريم ﷺ قد اتخذ دار الأرقم مقرًّا له ولأصحابه عندما كانت الدعوة سرية، فلتف حوله الأوائل من المسلمين بعيدًا عن المشركين يتذكرون كتاب الله، وهو يُعَلِّمُهُمْ مبادئ الإسلام، ويحفظهم ما ينزل عليه من القرآن، وبعد ذلك أصبح منزل الرسول الأعظم - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - في مكة ارتياد المسلمين، ومعهدهم الذي يَتَلَقَّوْنَ فيه القرآن الكريم، وينهلون من الحديث الشريف على يدي نبي الله ﷺ حيث لا شك في أَنَّ الصحابة كانوا يستظهرون آيات القرآن، ويتدارسونها فيما بينهم، في بيوتهم وفي حوانيتهم، في المدينة وفي البداء، ليثبتوا ما سمعوا من الرسول الاعظم ﷺ. ويتذكرون تفسير مَا تَلَقَّوْهُ، وما تفسيره إلَّا شرح رسول الله ﷺ وهو الحديث. اذ حفظ حديث رسول الله ﷺ كان راسخاً جنباً إلى جنب مع حفظ القرآن العظيم حيث الأيام الأولى لظهور الإسلام. وقصة إسلام عمر تثبت وتؤكد أَنَّ المسلمين كانوا يقرأون القرآن في بيوتهم، وَيَتَفَقَّهُوْنَ في الدين... والمسجد أصبح فيما بعد - المكان المعهود للعمل والفتوى والقضاء، إلى جانب العبادة وإقامة الشعائر الدينية، وعرض لأمر العامة على المسلمين. حيث لم يقتصر تبليغ الرسول ﷺ على مكان محدود ولا على مناسبة مُعَيَّنَةٍ، فكان يُسْتَقْتَى في الطريق فَيُفْتَى، وَيُسأل في المناسبات فيجيب، في كل فرصة تسنح له يبلغ الاحكام، وفي كل مكان يتسع لذلك: في حله وترحاله، في سلمه وحره. (شاكر، ٢٠٢٣ : ٩٣)

وبهذه الروح الطيبة الزكية، والنفس السامية، والصدر الرحب، والمنهج التربوي الصحيح كان رسول الله ﷺ يُعَلِّمُ أصحابه والمسلمين عامة أحكام الإسلام وتعاليمه وآدابه، حيث لم يكن حاجب بين الرسول الكريم والمسلمين .

- التربية والتعليم:

هدف الإسلام هو الاهتمام بالمجتمع ومؤسساته وأفراده، إذ نزلت أولى آياته لتؤكد على العلم والقلم قال ﷺ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (١) ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (٢) ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ (٣) علم الإنسان ما لم يعلم. لذلك ظهر وبرز إهتمام الدولة العربية الإسلامية بالتربية والتعليم منذ عصر الرسول محمد ﷺ فتعد التربية والتعليم إحدى أهم أوجه الرعاية، حيث هذا الاهتمام من توجيهات القرآن الكريم، اذ وردت فيه مادة علم ومشتقاتها (٨٥٠) مرة تقريباً. (عبد الباقي، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م : ٤٤١) ومن أهم أهداف التربية والتعليم في الإسلام :

(١) الهدف الديني: وكما جاء في الآية القرآنية: ﴿وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون﴾. الذاريات: الآية (١-٥)

(٢) الهدف الديني والديني: يؤكد ذلك قوله ﷺ: ﴿وَابْتَغِ فِيهَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾. (سورة القصص: الآية: ٧٧)

(٣) الهدف الإستخلافي: ويعد الإنسان مستخلفاً في الأرض، إختاره الله ليقوم بعمارتها واستصلاحها، حيث لا يمكن أن يكون الإنسان مستخلفاً ما لم تحقق أسمى غايات التربية الإسلامية. ومن أهم سمات التربية والتعليم في الإسلام فهي:

- أ- أنها أسمى صور العبادة.
- ب- أنها تهتم بالناحية العقلية والانفعالية والروحية والجسمية للمتعلم بشكل متوازن .
- ج- تهتم بالزامية التعليم ومجانيته وهو فريضة على كل مسلم ومسلمة .
- د- يتصف بالاستمرارية مدى الحياة.
- هـ- اذ تفرض المساواة وتكافئ الفرص التعليمية للجميع . (الكروي ، ١٩٨٧ : ١٨)
- و- تدعو الى عالمية التربية والتعليم من خلال تركيزها على إيجاد الانسان الصالح لكل زمان ومكان.
- ز- وتمثل كل انواع المعرفة التي يحصل عليها الإنسان بطرق مختلفة والتي تعود بالنفع على الجميع.
- ح- تهتم بالعلم والمعرفة وترفع من قيمة المتعلم كما في قوله: ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾. (الزمر: الآية ٩).
- ط- يتم ربط العلم بحاجات البشر والإعتراف بالفروق الفردية ونمو مختلف جوانب العملية التربوية. حيث هنا يمكن القول أن رعاية العلم في القرآن الكريم. وفي تاييده على أهمية العلم والمعرفة والحث على الإستزادة منها، دراسة أحوال الانسان في الماضي والحاضر والمستقبل والإكثار منها والتمعن في ظواهر العالم والتفكير بها وخلق بذلك دوافع ومحفزات قوية لافاق التفكير والدراسة للمجتمع لم تكن موجودة في المرحلة التي سبقت الاسلام. (العلي ، ١٩٨٠ : ١٥)
- ي- وترتب على الأهمية التي أولاها المسلمون للقرآن الكريم ان ظهرت دراسات لها صلة به كالدراسات اللغوية ، والتفسير والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول وعلم القراءات والرسم القرآني وغير ذلك من الدراسات . (الفراجي ، ١٩٩٢ : ٤٢) وبهذا يكون القرآن قد شكل قاعدة الانطلاق في اوسع حركة علمية فكرية تربوية في الحياة العربية.

التربية والتعليم في عهد الرسول ﷺ:

كان للأحاديث النبوية الشريفة دورٌ مهمٌ في رعاية التربية والتعليم والتأكيد على اهميتها فقد حث الرسول ﷺ في طلب العلم في قوله: "من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع". وله ﷺ أيضاً: "العلم حياة الإسلام وعماد الدين، ومن علم علماً أتم الله له أجره ومن تعلّم فعمل علمه الله ما لم يعلم"، (المتقي الهندي ، علاء الدين ، ١٩٨٩ : ١٣٢)

حيث وضع الرسول ﷺ محفّزات مقابل التعلّم والتعليم، عُدّ فيها العلم بمنزلة العبادات. وأبدى الرسول عناية خاصة بإختيار المعلمين منذ بدء الدعوة وقد تمثل بأرسال مصعب بن عمير ؓ إلى المدينة - حيث كان مصعب يلقّب بـ"المقرئ" في المدينة - ليعلم أهلها القرآن. (ابن هشام ، ١٩٥٥ : ٤٣٤) وحثّ الرسول ﷺ على التربية والتعليم للرجال وللنساء على السواء اذ جعل يوماً للنساء يجلس فيه لتعليمهن و وعظهن، اذ حفز نساءه على التعليم من كتابة وما يتعلق بالحاجات الحياتية. (البلاذري ، د. ت: ٤٧٧)

يعد عمل الرسول ﷺ وقوله واستحسانه سنّة، وهي تمثّل محل إيتباع من قبل المسلمين ويمثّل الإقبال على التعلّم والتعليم القاعدة وشجع الرسول ﷺ المعلمين وبشرهم الثواب بقوله: "إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةُ فِي حَجَرِهَا وَحَتَّى الْحَوْتُ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِي النَّاسِ الْخَيْرِ"، وكسبا للأجر وثواب الآخرة. انصرف بعض الصحابة إلى تعليم الناس الكتابة والقرآن والعلم، لا بد أن نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: أبو الدرداء ؓ الذي كان تاجراً وأبو ذر الغفاري ؓ كما كان علي بن أبي طالب ؓ كان يتفرغ للتعليم متى ما فرغ من الجهاد (الطبرسي ، ١٣١١هـ : ٧٤) ، وغيرهم كثير. بذلك حثّ الرسول ﷺ على ضرورة نشر التربية والتعليم ولذلك فرض على الآباء تعليم أبنائهم وقد تمثّل ذلك في حديثه الشريف: "ألا من حق الولد على والده ثلاثة، يحسن اسمه ويعلمه الكتابة"، ويستدل من هذا الحديث على أن الآباء معنيون بواجب التربية ورعاية الأبناء. (فياض ، ١٩٦٧ : ٧١)

إذاً فالتربية والتعليم والعناية بالأبناء أصبح واجباً مقدساً لا بد منه وبالأخص فيما يتعلق بالجانب الديني وغيره من العلوم الأخرى ويتشارك في ذلك الرجل والمرأة، وكانت السيدة عائشة (رضي الله عنها) تفوق الرجال في رواية الشعر ومعرفة الأنساب ولها دراية في الأمور الطبية. (الباليساني، ١٤٠١هـ / ١٩٨٥م : ٧٢).

الخليفة أبو بكر الصديق ؓ (١١-١٣هـ):

تولّى الخلافة بعد وفاة الرسول ﷺ واتّصف بالعلم والمعرفة إلى جانب الثراء والزهد والتواضع والمروءة والإحسان، حيث لم تدم خلافته طويلاً إذ لم تتعدى السنتين وبضعة أشهر، إلّا أنّه قدّم للتربية والتعليم ما يدعمها ويثبت خططها المستقبلية، ومع ذلك التزامه بالمنهج الإسلامي والذي كان يمثل عنصراً هاماً في حينها ولحد الآن.

وكان الخليفة أبو بكر ؓ من أعلم الصحابة وأعلم الناس بالقرآن. وقدّمه الرسول ﷺ إماماً للصلاة، وهو حافظاً للسنّة وأعلمهم بها وبعلمها عند الحاجة إليها (الفحام ، ١٩٧٣ : ١٨) ، كما وكان أعلم الناس بأنساب العرب وقريش.

وكان يرفع ويهتم برعاية العلماء تقديراً منه لأهمية العلم، على الرغم من إنشغاله بحروب الردّة وتثبيت أركان الدولة الإسلامية وقصر مدّة الخلافة.

الخليفة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ):

يُعدّ الخليفة عمر رضي الله عنه واضعاً للأسس الأولى لنظم الدولة الإسلامية في مجال التربية والتعليم، وإهتماماته العلميّة تظهر من خلال وضعه التاريخ فهو يعدّ أول مؤرخي الكتب وختم بالطين و(أول من دَوّن للناس في الإسلام الدواوين)، وأول من اتخذ الكتاتيب أماكن لتعليم الصبيان في المدينة. وكان عمر رضي الله عنه يسعى للنهوض بالواقع العلمي وجعل من مهام عمال الأمصار تعليم الناس دينهم وسنة نبيهم، ممّا أدّى إلى إرسال الصحابة إلى الأمصار، لنفس الغرض، فبعث عمار بن ياسر رضي الله عنه إلى الكوفة أميراً وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه معلماً، وبعث إلى بقية الأمصار العربيّة مثل الشام بأربعة من الصحابة وإلى البصرة بتسعة (ابن عساكر، ١٣٢٩هـ: ٣٧٠/١٠) فقد منع الرسول ﷺ دفع الأجور لمن يعلم القرآن حتى وإن كان على سبيل الهدية، لأنّها معوقة عن بلوغ الناس بحاجاتهم وقد منعها الخليفة عمر رضي الله عنه أيضاً. شجّع الخليفة عمر رضي الله عنه على التحصيل العلمي والعلم والمعرفة للطلبة بقوله: (كونوا أوعية الكتاب وينابيع العلم)، فكتب إلى ساكني الأمصار كتاباً جاء فيه: (أما بعد فعلموا أولادكم العوم والفروسية وروهم ما سار من المثل وحسن من الشعر)، ونبه الآباء إلى واجبهم في المشاركة بعملية التربية والتعليم، كما وأكد على تعليم الطلاب بقوله: (تفقهوا قبل أن تسودوا)، وعليه فقد بعث المسلمون أبنائهم إلى الكتاتيب القائمة لتعلم الكتابة والقراءة، فمن واجبات الولاية هو التعليم. (ابن عبد ربه، ١٢٦٧هـ / ١٩٤٨م : ١٣١)

في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتخذ الكتاتيب أماكن لتعليم الصبية وهو أول من اتخذها وبشكل منظم في المدينة، وأمر ببناء بيوت المكاتب وعيّن الرجال لتعليم الصبيان وتأديبهم حيث مناهج التعليم في الكتاتيب تتضمن علوم أساسية تأخذ بنظر الاعتبار قابلية الطفل ومستوى إدراكه زيادة إلى تعليم القرآن الكريم. ومن أولويات الكتاتيب الإهتمام باللغة العربيّة والنحو وتعليم الصبية الحساب وشيئاً من السيرة النبوية. (ابن عبد ربه، ١٢٦٧هـ / ١٩٤٨م : ١٣٤)

في عهد الخلفاء الراشدين تفاوتت أعمار الطلبة وسبب ذلك يعود إلى إتساع دائرة الإقبال على التعليم لتشمل كبار السن والصغار من عمر عشرة سنين وهناك من يرى أن الدخول للكتاتيب يبدأ من السنة الخامسة والسادسة من العمر.

وعن إهتمام عمر رضي الله عنه كانت له رعاية خاصّة، نصّ وصيته التي أوصى بها في آخر حياته على توقيير العلماء (الطويل، ١٩٦٨ : ٧٠)، وشملت هذه الرعاية حتى علماء أهل الذمّة.

وأخيراً كان يوم الجمعة عطلة الكتاتيب، بعد ذلك الحق الخليفة عمر رضي الله عنه يوم الخميس بها زيادة على عطل أخرى وهي ثلاثة أيام في عيد الفطر وخمسة أيام في عيد الأضحى ويوم قبل النحر، واستمرّ

هذا العرف فيما بعد فكان للخليفة عمر بن الخطاب ؓ دورٌ كبيرٌ في مجال التربية والتعليم وبجميع مجالاته من إهتمامه بالطلبة وإمكان التعليم والمعلمين ووقت الدراسة والمناهج والعلماء وغيرها الكثير ممّا ساهم مساهمة في إعلاء المكانة العلميّة والواقع التربوي للدولة العربيّة الإسلاميّة. (الكتاني ٢٩٤: ٢٠٠٨)

الخليفة عثمان بن عفان ؓ:

يعدّ نموذجاً للمثقف العربي المسلم ومن النخبة التي كانت تجيد، وله كذلك معرفة تامة بالأنساب، وعلم الحيوان والحساب والتاريخ والفراسة، وأسهم بأغلب علوم عصره ممّا دعاه إلى القراءة والكتابة قبل الإسلام تطوير التربية والتعليم لما لها من أهميّة في تطوّر المجتمع الإسلامي. أفضل ما قام به الخليفة عثمان بن عفان ؓ إضافة إلى رعاية العلم والطلبة والإهتمام بالكتاتيب ما قام به في عام ٦٥١م بجمع القرآن الكريم وتدوينه، حيث كتبت في عهده ثلاث نسخ واطلفت النسخ الأخرى، والأجيال الأخرى نسخت القرآن عن مصحف عثمان، وبهذا استقرّ النصّ القرآني كما لم يستقر أيّ كتاب مقدس آخر، ويعد هذا إنجاز كان له شأن كبير في تعليم القرآن والكتابة وكانت الكتاتيب في عهد عثمان ؓ مفتوحة لجميع الناس على اختلافهم وهذا إستمرار لما قام به الرسول ؐ والخلفاء من بعده ، واتصف الخليفة عثمان ؓ بعلم شاسع فقد اهتم بالعلم والعلماء الذين كانوا يقدمون المشورة للخلفاء. (الكتاني ، ٢٠٠٨ : ٢٩٦)

وسار الخليفة عثمان ؓ برعايته للتربية والتعليم واهتم بالعلم والعلماء على نهج الرسول ؐ والخلفاء الراشدين المهديين من بعده وزاده عليهم في زيادة معطيّاته لهم ومنحهم موارد مالية أكثر.

الخليفة علي بن أبي طالب ؓ:

كان الخليفة علي ؓ مهتماً بالعلم والتعليم والمعرفة حتى قبل أن يصبح خليفة وكان عالماً ومعلماً ومتعلماً، وكان يعلم الناس ويقضي وقته بينهم، كلّما فرغ من الجهاد، فهو أحد معلّمي الأمة وله أقوال عديدة في هذا الجانب ونقلاً عن الشطي قوله ؓ: (عد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً للعلم ولا تكن الخامسة - أي جاهلاً - فتهلك). (الشطي، ٤٧: ١٩٧٠)

وكان للخليفة علي ؓ توجيهات عن التربية والتعليم كما نقله لنا السيوطي قوله ؓ: (يا حَمَلَة القرآن اعملوا به فأنما العالم من علم بما علم ووافق علمه عمله وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم)، ويميّز علي ؓ بين المال والعلم في مقولة تتسبب لصاحبه كميل بن زياد النخعي جاء فيها: (..... الناس ثلاثة ... فعالم ربّاني ومتعلّم على سبيل النجاة وهمج راع. يا كميل العلم خير من المال يحرسك وأنت تحرس المال، المال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق يا كميل هلك خزان كميل العلم دين يدان به والعلماء باقون ما بقي الدهر). (ابي طالب ، د. ت : ١٧١)

إذ عمل من خلال هذه الوصية تأسيساً بقول الرسول ﷺ: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له. (مسلم، ١٣٧٥هـ / ١٩٩٥م : ١٢٥٥)
 ووجه الخليفة علي عليه السلام على طلب العلم وحث على التعليم بقوله نقلاً عن الجاحظ: (لا يستحي من لا يعلم أن يتعلم ولا يستحي من لا يعلم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول الله أعلم).
 رعاية العلماء أخذت مكانة كبيرة، كما ويبين قوله لمالك الأشتر: (وأكثر من مدارس العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك).
 وتميز الخليفة علي عليه السلام بالعلم الوافر وبسخاءه في إعطائه لكل طالب له، فهو ذو مدارك واسعة في مختلف فروع العلوم خصوصاً الدينية والفقه وعلوم القرآن، ويرثي أبي الأسود الدؤلي عليه السلام:

ليس بكاتمٍ علماً لديه ولم يخلق من المتكبرينا

ففي عهد الخلفاء الراشدين كان هناك دور للعلم نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: اشتملت هذه الدور علوم مختلفة وهي أحد مظاهر الإهتمام بالتربية والتعليم ورعاية العلم والعلماء وشهدت بعض البيوت في المدينة خاصة نشاطاً علمياً متخصصاً بقراءة القرآن وتعلمه. وينقل ابن سعد خبراً عن دار تسمى بدار القراء تعود لمخرمة بن نوفل. (المهودي، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م : ٥١٧)
 فكان لعبد الله بن مسعود دار تسمى بدار القراء، وأحد البيوت الأخرى في المدينة التي كان الناس يحضرونها لتلقي العلم فيها غالباً هي دار عبد الله بن عباس، وكانت تدور الموضوعات العلمية فيها حول الفقه والفرائض والعربية والشعر والغريب من الكلام و كان عبد الله بن عباس يجيبهم عن أسئلتهم. (الحكم النيسابوري، ١٣٤١هـ : ٥٣٧)

فالمدن الإسلامية اتصفت بغزارة العلم فيها مما أدى إلى إقبال الناس على التعليم في المساجد وفي البيوت وفي الكتاتيب نظراً لتوجيهات الرسول ﷺ، زيادة على ذلك ظهرت جماعات من الناس أوقفت نفسها

للتعليم وخصّصت أماكن معلومة لتعليم الكتابة ومتابعة الطلاب والوقوف على رغباتهم.

المبحث الثاني: الحياة الثقافية والفكرية في العصر الأموي

(٤١هـ / ٦٦١م - ١٣٢هـ / ٧٥٠م)

الحركة الفكرية والعلمية للعصر الأموي برز بعد انتهائه؛ وذلك عند توظيف العباسيين التطور الفكري والعلمي للأمويين في التمهيد لنهضتهم الفكرية، حركة التعريب في عهد عبد الملك بن مروان من أبرز التطورات التي هيأت للنهضة العلمية العباسية، إذ جعل من اللغة العربية لغة رسمية تستعمل في كل أرجاء الدولة الإسلامية، وأسهم الوليد بن عبد الملك بن مروان في إنشاء المدارس والمستشفيات برعاية الدولة، ومن الإنجازات المهمة على صعيد تطوير الحركة العلمية في العصر الأموي تدوين العلوم وتعريبها للمرة الأولى، وهذا مما أتاح لعلماء العرب والمسلمين الإطلاع عليها بسهولة ويسر، فأتساع الدولة

ودخول شعوب جديدة في الإسلام أتاح التعرف على حضاراتها وعاداتها وتقاليدها وتجاربها وخبراتها والاستفادة من الإيجابي منها في إغناء الحضارة الإسلامية، وتمّ نشر علوم اللغة والأدب العربي المختلفة بين أبناء هذه الشعوب، وذلك بالإضافة إلى العلوم الشرعية والتاريخية والفلسفية والطبيعية، (المصنف، ٥٤) لهذا السبب تُعد العلوم الدينية واللغوية والتاريخ والجغرافيا والفلسفة والطب من أهم المجالات التي ازدهرت في العصر الأموي، فالحركات العلمية انقسمت في هذا العصر إلى أربع حركات هي: الحركة الدينية (المعنية بعلوم الدين، مثل تفسير القرآن والأحاديث والتشريع)، والتاريخية (المعنية بتوثيق التاريخ والقصص والمغازي ونحوها)، والأدبية (المعنية بالشعر والنثر وما إلى ذلك) والفلسفية (المعنية بالمنطق والكيمياء والطب وما شابهها). لكن الأمويين لم يميلوا إلى دعم العلوم؛ إذ لم يقدم خلفاؤهم أو أمراؤهم الدعم سوى لحركتين هما: الأدبية والقصصية من بين كل هذه الحركات العلمية، حيث لم يكن يتمتعهم ويجذبهم سوى الشعر والخطب والقصص، وذلك بسبب نزعتهم العربية البدوية عندهم، إذا لم يستثنى من هذا سوى خالد بن يزيد بن معاوية، الذي كان يتّصف بنزعة فلسفية فوق نزعته الأدبية، وهو دعم بشدة الحركات العلمية في مجالات الطب والكيمياء والفلك، حيث أن عمر بن عبد العزيز دعم الحركة الدينية إضافة لذلك. (أمين، ٢٠٠٨: ١٦٠)

الإختصاص العلمي لم يظهر في العصر الأموي، إذ لم يكن هناك عالم بالحديث فحسب أو التفسير فحسب على سبيل المثال، وإنما كان العالم الواحد يخوض في التفسير و الحديث والمغازي والتاريخ والأدب؛ لأن الوقت كان مبكراً كي تتخصص العلوم، حيث لم تكن مصنّعة بعد وعرفت بالقدر الكافي. وقد كان هذا وضع التعليم أيضاً، فالمعلم في الجلسة الواحدة يسرد عن علوم كثيرة، ومع الوقت بدأت الجلسات التعليمية بالتخصص على الرغم من معرفة المعلمين فعلياً بالكثير من العلوم. وكان الخليفة الأموي الوليد هو أول من أنشأ مدارس منظمة تعمل برعاية الدولة وتحت إشرافها في التاريخ الإسلامي، إذ ساعد انتشار المدارس على التهيئة أكثر للنهضة العلمية العباسية اللاحقة، وكما يحسب للوليد بأنه المنشئ الأول للمستشفيات (البیمارستانات) في التاريخ الإسلامي وهي دور علاجية كانت وظيفتها إيواء المعاقين وذوي الأمراض العقلية والعصبية الذين يدعون اليوم (بذوي الإحتياجات الخاصة)، وهي من أفضل التسميات على الإطلاق، حيث اعتمدت كثير من المشافي التي أنشئت لاحقاً في أوروبا على نمط وأسس مشافي الوليد بن عبد الملك، الأطباء الجدد أصبحوا يتعلمون على أيدي أطباء هذه المشافي، ويعد ذلك البادرة الأولى لولادة المدارس الطبية في التاريخ. (موسوعة سفير للتاريخ الاسلامي ، ١٩٩٦ ، ٩٩)

كانت المساجد تمثل مقرّ تمرکز الحركة العلمية الدينية خلال العصر الأموي بشكل أساسي، وبعد ذلك أنشئت المكاتب لتحفيظ الصبيان الصغار القرآن وتعليمهم مبادئ الدين، خلال العهد الأموي ألف عدد

من الكتب في علم التفسير. خلال هذه الفترة كان مفسرين بازين منهم مجاهد بن جبر وعطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس وسعيد بن جبيرة وسعيد بن المسيب والحسن البصري ومحمد بن سيرين. لكن جميع مؤلفاتهم ضاعت، فكتاب ((معاني القرآن)) الفراء، هو أقدم كتاب في التفسير وصل إلينا، يعود إلى العصر العباسي. خلال العصر الأمويّ لقد استُهل العلم الحديث حيث كان يتناقل شفويّاً بين الناس وطوال القرن الأول الهجري ولم يدوّن أبداً في تلك الفترة؛ وذلك لأن الرسول ﷺ نهى عن تدوينه خشية اختلاطه بالقرآن، وعند تولّي الخلافة من قبل عمر بن عبد العزيز خشي أن يضيع الحديث بموت العلماء الذين يحفظونه فأمر بتدوينه، فكتب إلى ولاته على أقاليم الدولة المختلفة مكلفاً كلاً منهم بجمع الأحاديث النبوية الشريفة من العلماء والحفاظ كلّ في ولايته، وبذلك الطريقة بدأت حركة تدوين الحديث بالتوسع تدريجياً، وافنى كثير من العلماء سنوات طويلة في جمعه وتدوينه. في العصر الأمويّ كان هناك محدّثين ومن أبرزهم محمد بن مسلم الزهري وابن إسحاق وسفيان الثوري ومحمد بن راشد اليماني وابن جريج المكي ومالك بن أنس، تحرّى العلماء في عصر المحدثين الأحاديث وصنّفوها ووثّقوها حسب صحتها لم يبرز إلا في القرن الثالث الهجري. خلال العصر الأمويّ عاش إثنان من الأئمة الأربعة، وهما أبو حنيفة النعمان ومالك بن أنس، اللذان تنسب إليهما المذهبان: "الحنفي والمالكي". خلال العصر الأمويّ انتشر المذهب الأول في مصر والعراق وفارس ووسط آسيا، بينما انتشر المذهب الثاني في مصر والمغرب العربي. وخلال هذه الحقبة عاش أيضاً فقيهان كبيران آخران هما الأوزاعي: إمام الشام، والليث بن سعد: إمام مصر، وقد كان لكليهما مذهبان، وبسبب عدم وجود تلاميذ لهما ينشرون آراءهما الفقهية اندثرا. (موسوعة سفير للتاريخ الاسلامي : ١٠٠)

وظهر في مطلع القرن الأمويّ أول إعتناء للعرب بالكيمياء على يد خالد بن يزيد بن معاوية؛ الذي كان شغوفاً بالحصول على كتب يونانية وقبطية للتعرف على صناعة الكيمياء، إذ استعان لذلك براهب إسكندراني اسمه "اصطفان" كي يترجمها له، فكان لخالد دورٌ أساسي في نهضة العرب بالكيمياء، ووضع خالد أيضاً عدداً من المؤلفات فيها بعد أن أتقن صنعها، منها "كتاب الحرات" و"الصحيفة الكبرى" و"الصحيفة الصغرى" و"السر البديع في فك رمز المنيع في علم الكاف" و"فردوس الحكمة في علم الكيمياء منظومة شعرية"، غير أن الكيميائيين البارزين من المسلمين لم يظهروا حتى العهد العباسي، وحتى علم الفلك فلم يحظ هو الآخر نصيب كبير من الإعتناء في العصر الأمويّ، وظلّت المعرفة محدودة به، إلا ترجمة كتاب فلكي واحد مشهور، فكتاب (عرض مفتاح النجوم) لهرمس الحكيم هو الكتاب الوحيد المعرّب خلال هذه الفترة، الذي تُرجم بأمر من خالد بن يزيد سنة (١٢٥هـ) (فروخ، ١٩٧٠: ٢٤٢) وبقت معرفة المسلمين بالفلك لم تتطوّر عموماً في عصر الأمويين. فالعرب لم يبدؤوا الإعتناء بالأحياء والنبات وتصنيف الكائنات الحيّة حتى النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، فعلم الطب في العصر الأمويّ

تأثر كثيراً بالطب اليوناني، حيث لم يكن لها أي وجود تقريباً في أيام الأمويين (عبد الرحمن، ١٨٢: ١٩٧٧) فوجود الأطباء النصارى قد ساهم في تطويره الذين عيّنهم الخلفاء الأمويون، وهؤلاء الأطباء ترجموا كثيراً من الكتب الطبية من السريانية إلى العربية لتكون أولى الكتب المدونة باللغة العربية في علم الطب، مثل كتاب (كناش في الطب)، وكتابين آخرين هما: (قوى الأطعمة ومنافعها ومضارها وقوى العقاقير ومنافعها ومضارها). (فروح، ٢٧٤)

والعصر الأموي، هو من أكثر العصور الإسلامية التي تلت صدر الإسلام إنجازاً وازدهاراً في كثير من مجالات العلوم، حيث أسهم في ذلك إنتشار المدارس المتخصصة، فضلاً عن حركة الترجمة التي نهض بها الأمويون، والخطابة بوصفها أهم الفنون الأدبية التي نالها ما نال غيرها من تطوّر وازدهار.

فالعصر الأموي هو عصر البناء والتأسيس لنشأة المدارس الفقهية الكبرى، وعلى وجه الخصوص في المدينة النبوية والكوفة التي كانت النواة الأولى لمدارس الفقه، وعليهما يدور جلّ فقه الصحابة كما نراه في كتب تاريخ التشريع الإسلامي، ولقب الحجازيون بأهل الحديث وذلك لوضوح شدة إهتمامهم بالأثر من الرأي والنظر وكراهيتهم للمسائل الافتراضية لم تقع بعد، وعُرف العراقيون بأهل الرأي لاستكثارهم من القياس ومهاراتهم فيه مع قلة العناية بالروايات نظراً لبعد العراق عن منبع الوحي. فهاتان المدرستان هما السلم التدريجي لتأسيس المذاهب الفقهية. (الذهبي، ١٩٨٥: ٩١/٦)

والحياة العلمية على اختلاف أنواعها كانت سائرة سيراً حسناً، ففي تشجيع مسيرتها وتعزيزها فلم يأل الخلفاء والأمراء جهداً، حيث أبدوا عناية خاصة بحسن خدمتها وإيضاحها ممّا جعل عصرهم عسراً تنتعش فيه دولة العلم، وحظوا بصحبة كثير من الصحابة ونخبة علماء التابعين، واستفادت الدولة منهم وأفادوا، في دفع نشاط الحركة العلمية كانوا يكرمونهم ويؤيدونهم، فبهذا الإنتاج العلمي يومئذ تنوع تنوعاً واسعاً في مختلف العلوم: من حديث تفسير وعربية وفقه وغيرها، حيث بدا كل علم رقيّاً وتكاملاً، وظهرت ظاهرة بذور التدوين العلمي في معظم العلوم، فمشاهدها ومدارسها تبينت، وفي علم التفسير: كان الصحابي أبو العباس عبد الله بن عباس على رأس علمائه، وعلى يديه ﷺ عنه تتلمذ جلة التابعين.

والإمام ابن تيمية رحمه الله يقول: وأما التفسير فإن أعلم الناس به أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس . (مجموع الفتاوى : ٣٤٧/١٣)

في العصر الأموي كانت علوم العربية من أسرع العلوم نهوضاً، لحدوث الإتصال الثقافي الواسع المؤثر بين العرب وبين الأمم التي دخلت شعوبها في الإسلام خاصة بعد الفتوحات الإسلامية وشدة احتياجها إلى تعلم الدين، ولأهمية إيجاد صلة التواصل والتعارف والتفاهم بين الرعاة والرعية، وهذا أدى

إلى أن تسود اللغة سيادة مطلقة تجري بها المخاطبات والمكاتبات، فالحاجة دعت إلى وضع بعض ضوابط وقواعد نحوية - على يد أبي الأسود - لضبط الألسن واستقامتها، وصيانة اللغة من اللحن والعجمة في العربية الأصيلة، ووضع التشكيل والتنقيط والإعجام للحروف، وشاركه فيه إلى مستوى الكمال يحيى بن يعمر، ونصر بن عاصم بأمر وتوجيه من الحجاج بن يوسف الثقفي، فنبغ مبتكرون في كثير من ضروب وأنواع الشعر كأمثال الفرزدق وجريير وغيرهما، وكما أبدت حركة تعريب الدواوين إسهاماً كبيراً في تضاعف الإهتمام باللغة العربية وتعلمها. وبهذا ظهرت مدرسة جديدة في الساحة؛ وهي مدرسة طبقة كتاب الدواوين والرسائل الفنية وعلى رأسهم كان عبد الحميد الكاتب الأديب.

الترجمة في العصر الأموي:

فبعض المؤرخين غفلوا أثر الأمويين في النهضة العلميّة، ومنها: ظاهرة النقل والترجمة، ويقال أنها كانت مهجورة في عهدهم، وينقل هذا الزعم حاجي خليفة في كتاب "كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون"، ويردّ عليه بما سيتم توثيقه أدناه وغيره. (حمادة، ١٣٩٩هـ/ أيار (مايو) ١٩٧٩م : ٤٥) وحركة النقل والترجمة بدأت في هذا العصر مع الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان (توفي سنة ٦٠هـ / ٦٧٩م)، والذي كان محباً للاطلاع على سياسات الملوك وسيرهم، وكان لديه العديد من ينسخون له الكتب التي يبدو أنها كانت مترجمة عن اللغات اليونانية واللاتينية والصينية، وذلك على إثر تسلمه لهدية من ملك الصين كانت كتاباً تُرجم في عهده، أو بُعيد عهده. (أمين، ١٦٥)

حيث تدور الروايات حول خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الذي أطلّ على الخلافة ثلاثة أشهر فقط، ثم أثر التفرغ للعلم، الذي تولع بصناعة (الكيمياء)، سنة (٨٥هـ) توفي رحمه الله، وقيل: سنة تسعين ٩٠هـ، أو ما دونها. (الصفدي، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م : ٢٧٠) فأورثه جدّه معاوية بن أبي سفيان مكتبة غنيّة، وعلوم الأوائل تلقاها على يد معلمه ماريوحنا الدمشقي - ويسمى أيضاً: مريانوس والذي كان صديقاً لوالد خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (توفي سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م)^(*)، ونديمه في صباه. ومريانوس أيضاً ترجم لخالد بن يزيد، وكما ترجم له أيضاً راهب آخر عن اليونانية يقال له: اصطفان الحصري، أو القديم كتباً أخرى. وعلى يد جبلة بن سالم تُرجمت له بعض الكتب عن الفارسية وعُد من أساتذته يحيى النحوي. ويقال أن أول ما تُرجم لخالد بن يزيد هو كتاب: (مفتاح النجوم) أو (مفتاح أسرار النجوم) (الدفاع، ١٤٠١هـ، ١١/ ١٩٨٠م: ٩٧) للفيلسوف هرمس الحكيم.

وبهذا المجال تفاوت في إطلاق الأحكام القاطعة، فالبعض قال إلى أن أول عربي مسلم فكر بالنقل والترجمة هو خالد بن يزيد، بل ربّما عدّه بعض الباحثين المؤسّس الأول، وهو وضع حجر الأساس

لظاهرة النقل والترجمة في العالم الإسلامي، وبهذا تغفل الجهود التي سبقته على عهد جدّه معاوية بن أبي سفيان، أو عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

وربّما كان هذا هو الحال إذا قيل: في عهده ظاهرة النقل والترجمة قد انتظمت، وزاد الناقلون على ما كان عليه الأمر من قبل؛ إذ لم يصدر عن خالد بن يزيد هذا التوجّه من فراغ، ولخضوعه في تربيته في مجالس أبيه وجدّه جعله ينصرف إلى العلم والحكمة والأدب، حيث استطاع أن ينقل الكثير من الكتب في الطب والفلك والفلسفة والصناعة، وجعلها متاحة في أماكن خاصّة (خزائن الكتب/ المكتبات)، وجعل منها ارتياداً للمهتمين والدارسين، فمجموعة من النقلة استقدموا لترجمة بعض الكتب عن اللغات السريانية والقبطية والفارسية واليونانية من مصر وغيرها.

وهو نفسه كان بصيراً بالطب والصناعة، وقد ترك خلفه رسائل كثيرة في الصناعة (الكيمياء) تدلّ على باعه طويلة في هذا العلم، ويذكر منها كتاب "الحرارات" وكتاب "الصحيفة الكبير" وكتاب "الصحيفة الصغير"، وكتاب "وصية أب إلى ابنه في الصناعة" وقد رآها محمد بن إسحاق النديم. (النجار، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م: ٥٥)

ومع بصره بالعلوم كان من المحظوظين بالأدب، فهو كان خطيباً وفصيلاً، جامعاً، جيّد الرأي، كثير الأدب، له أشعار مأثورة، منها نظم في الصناعة لم يصل، إذ عدّ من الطبقة الثانية من تابعي أهل الشام، وخالد بن يزيد أيضاً كان ذا حظّ وطول باع في الحديث؛ فقد روى كثيراً عن أبيه يزيد بن معاوية، وعن دحية الكلبي، وروى عنه الزهري وغيره. (الذهبي، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م: ١٠٣)

وكان خالد بن يزيد ذا طول باع في علم الصناعة لا يعني بحال وصول هذا العلم شأنًا بعيداً، بحيث يتمّ تحويل المعادن إلى ذهب أو فضة كما قيل، ولكن هذا لا ينفي ولّعه بهذا الفن، فظنّ البعض فيه بسبب إسهامه اليسير في وقت مبكّر أن العرب لم يصلوا إلى مثل هذا المستوى.

وابن خلدون ينكر في "المقدمة" على خالد بن يزيد هذه الهمة في العلم، بغية أنه لا يزال عربياً أعرابياً، يقول: "إن خالدًا من الجيل العربي، والبداءة إليه أقرب؛ فهو بعيد عن العلوم والصنائع بالجملة، فكيف له بصناعة غريبة المنحى، مبنية على معرفة طبائع المركبات وأمزجتها، وكتب الناظرين في ذلك من الطبيعيات والطب لم تظهر بعد ولم تترجم، اللهم إلّا أن يكون خالد بن يزيد آخر من أهل المدارك الصناعية، تشبه باسمه، فممكّن. (احمد، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ١٣)

وهذا الرأي لابن خلدون لم يكن مستغرباً منه، لأنه كان منسجماً مع موقفه من العرب، لا سيما في انطلاقتهم الحضارية المبكرة.

يوافق عمر فروخ وهو من المحدثين ابن خلدون حيث يذكر أنه: "ليس لدينا دليل على أن خالد بن يزيد قد ألف كتاباً في الكيمياء أو غيرها ، أو أمر بنقل هذه الكتب إلى اللغة العربية، أو كان له عمل في الكيمياء، وذلك لأن العمل في الكيمياء يقتضي الإلمام بمعارف كثيرة لم تكن متوفرة لخالد بن يزيد، ولا لغيره من العرب في ذلك الطور من حياة العرب السياسية. (فروخ، ١٩٥٤: ٩٧)

فيحيى وهيب الجبوري يردُّ على ابن خلدون وعمر فروخ بما جاء في المصادر التي سبقت، والمراجع الكثيرة، التي لم نذكر إلا بعضاً منها، وكلّها أجمعت واتفقت على سعي خالد بن يزيد إلى الأمر بترجمة العلوم، وإنفاق المال في سبيل ذلك، وإلى التأليف في العلوم، ويكفي أن نؤكد قول ابن النديم وغيره: "كان خالد بن يزيد بن معاوية يُسمّى حكيم آل مروان، وكان فاضلاً في نفسه، وله همّة ومحبة للعلوم، وهو الذي أمر بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي، وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة، وهذا الرأي هو الذي يبدو أنه الأصوب؛ لما كان للعرب والمسلمين من توافر عنصر القابلية للانطلاق في حضارة تتطلب الإستزادة من المعارف والعلوم.

ومن هنا يمكننا أن نقول أن مكتبة معاوية بن أبي سفيان بدمشق يمكن أن تُعدَّ المركز الأول من مراكز التعريب أو النقل أو الترجمة إلى اللغة العربية، وأن خالد بن يزيد قام بتطوير هذه المكتبة/ المركز الذي يُذكر أنه كان يُدعى بيت الحكمة، فأغناها بكتب الحديث، الطب والكيمياء والفلسفة والفلك، وفيها أنشأ حركة لنقل الكتب الأجنبية، وترجمتها من اللغات اليونانية والقبطية والسريانية واللغات الأوروبية الأخرى إلى اللغة العربية وجمع لها العلماء في مجالات شتى، فبيت الحكمة في دمشق أعطى طابعه الخاص الذي يمكن أن ينظر إليه على أنه تطوير للمركز الأول من مراكز النقل والترجمة، أو في سبيل التمييز في مجال النشاط العلمي، فمن الممكن القول عنه: في حياة خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان انه يعد المركز الثاني من مراكز النقل والترجمة.

ومروان بن الحكم (توفي سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م) كان مشغولاً بقمع الفتن، فلم يكن متفرغاً إلى الالتفات إلى أن بعض الدواوين في الدولة قد طغت عليها السريانية والفارسية، فأبناه عبد الملك بن مروان (توفي سنة ٨٦هـ / ٧٠٥م) حاول مراراً لفث نظره إلى هذا، غير أنه لم يوفق إلا عندما أصبح خليفة، فقام بتعيين سليمان بن سعد الخشني على ديوان الشام خلفاً لرئيس الديوان الراحل سرجون بن منصور الرومي، (سرجون بن منصور: ٣٠٣) ووكله بنقل الديوان إلى اللغة العربية، وهكذا فعل الحجاج بن يوسف الثقفي (توفي سنة ٩٥هـ / ٧١٣م) والي العراق عندما كلف صالح بن عبد الرحمن بتعريب ديوان الطرق، حيث كلٌّ من سليمان بن سعد الخشني وصالح بن عبد الرحمن يجيدان اللغة العربية بجانب إجادتهم لغة الديوان، الذي عربّه عن اللغة اليونانية في الشام، واللغة الفارسية في العراق.

التعليم في العصر الأموي:

في العصر الأموي في البلاد المفتوحة وقع التفاعل الحضاري مع أهل الثقافات والعلوم والمراكز العلمية، فنتج عن ذلك تأثيراً متبادلاً بين المسلمين، وهؤلاء العلماء من أثرى المدارك وأغنى الثقافة، فضلاً عن وجود رغبة كبيرة عند العرب في استيعاب التراث العلمي العالمي، وذلك شكّل صرحاً مهماً للحضارة العربية الإسلامية، إذ أدّى إلى بروز الشخصية العربية الإسلامية التي ساهمت إلى تعريب هذه العلوم والانطلاق منها لتأصيل العلوم في ضوء ثوابت المنهجية الإسلامية.

فلم تكن العلوم الدينية في حاجة إلى تشجيع الدولة في هذا العصر الأموي، فاشتغلت الأمة كلها بعلوم الدين قرآناً وسنة، فكان هناك تفاوت بذلك بين الأفراد بطبيعة الحال، فالإسلام على امتداد العصرين الراشدي والأموي - بل وبعدهما بمستويات مختلفة - كان قضية كل مسلم، وكان يملك على مجموع الناس إلا قليلاً نفوسهم ويؤمنون بأنه شرفهم وعزهم ورسالتهم إلى العالم.

ففي العصر الأموي كانت المساجد هي المدارس والجامعات حينها ، فالأستاذ يجلس في المسجد، وتلامذته من حوله على شكل دائرة أو حلقة، ويذكر لنا ابن خلكان أن ربيعة الرأي كان يجلس في مسجد رسول الله ﷺ في المدينة، ويأتيه كل من مالك والحسن وأشرف أهل المدينة، ويحدّق الناس به، حيث كانت حلقة وافرة، وكذلك كان مجلس الحسن البصري في مسجد البصرة، وفي المسجد قد تكون جملة حلقات تجتمع كل حلقة على شيخ.

كما ورد لنا أن عمرو بن عُبيد ونفراً معه كانوا يجلسون في حلقة الحسن البصري، وبعدها اعتزلوا حلقة الحسن، وأقاموا حلقة خاصة بهم، وكذلك كان يفعل جعفر الصادق (عليه السلام)، الذي كان في المدينة، والناس في الأمصار الأخرى كذلك كانوا يتخذون المساجد مدارس يتعلمون فيها العلوم المختلفة. ودخلت بلاد الروم وبلاد فارس وغيرها الإسلام في العصر الأموي (عصر التابعين وتابعيهم)، وهي أمم لها حضارات، ممّا أظهر الحاجة إلى تشريع قادرٍ على تكييف الوقائع الجديدة تكييفاً إسلامياً قائماً على الكتاب والسنة، فكثر التدوين، ويذكر ابن خلكان (صاحب وفيات الأعيان) أن وهب بن منبه (سنة ١١٠هـ)، ألف في ترجمة الملوك المتوِّجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم، ولعله يقصد كتاب التيجان لوهب بن منبه.

وفي الطبقات يذكر أن هشام بن عروة بن الزبير قال: "أحرق أبي يوم الحرّة كتبَ فقهِ كانت له، قال: فكان يقول بعد ذلك: لأن تكون عندي أحب إليّ من أن يكون لي مثل أهلي ومالي". (ابن سعد، ١٩٥٧)

ويذكر ابن خلكان أيضًا: أن ابن شهاب الزهري ت ١٢٤هـ كان إذا جلس في بيته وضع كُتبه حوله، فيشتغل بها عن كل شيء من أمور الدنيا، وامراته يومًا قالت له: "والله لهذه الكتب أشد علي من ثلاث ضرائر"، فمن المعروف أن خالد بن يزيد بن معاوية وهو أمير أموي كتب رسائل في الكيمياء وغيرها، وخلال العصر الأموي (عصر التابعين وتابعيهم) أدى إلى تطوّر العلوم وتشعبها واتّسع دائرتها، ثم العصر العباسي - إلى ظهور تقسيم للعلوم إلى قسمين:

- حيث يطلق على أولهما: (العلوم النقلية أو الشرعية)، وهي تضم علوم الحديث والتشريع والنحو والأدب واللغة وغيرها.

- ويطلق على ثانيهما: (علوم المعاش)، أو (العلوم العقلية)، أو (علوم الأوائل)، وتشمل علوم الجغرافيا والتأريخ، والفلك، والأرصاد، والرياضيات، والأرض، وعلم الحيوان والنبات، والطب، والكيمياء، والصيدلة، وغيرها؛ وهي بمثابة علوم اعتمدت على الرعاية الإسلامية لعلوم (الآفاق) وعلوم الإنسان، ولكنها استفادت من التراث الإنساني كله، وقدمت له وأبدعت فيه. (القرش، ٢٠٢٠: ٢٠٩)

وبهذا التصنيف الذي يميل إلى تشجيع التخصص في العلوم، أدى إلى تطوير المنهجية العلمية في كل العلوم، ولا سيما في علوم المعاش، فبرزت عالمية وإنسانية العلم، وكما تجلّت وبرزت عند كل جابر بن حيان والرازي والجاحظ وغيرهم، وأصبح هدف الباحثين هو الحقيقة الموضوعية، وهي الحقيقة التي تتجلّى في القول الشائع " الحق في مقابل الباطل، والعدل مقابل الهوى والتعصب". (القرش ٢٠٢٠: ٢١٢)

الخاتمة :

من هذه الخاتمة سوف نتطرق الى ما يلي :

أولاً: الاستنتاجات

يتضح من خلال دراسة الحياة الثقافية والفكرية في عهد النبوة وما تلاه من صدر الإسلام حتى نهاية العصر الأموي أن هذه المرحلة شكّلت الأساس الحقيقي لنشوء الحضارة الإسلامية ، فقد أسهم القرآن الكريم والسنة النبوية في إرساء منظومة فكرية متكاملة قائمة على العلم والمعرفة، مما أدى إلى انتشار القراءة والكتابة وتدوين العلوم. كما برز دور اللغة العربية بوصفها أداة للعلم والثقافة، فتطورت علومها كالنحو والبلاغة خدمة لفهم النصوص الدينية.

كما شهد العصر الأموي بدايات العلوم التطبيقية مثل الطب والكيمياء، حيث تأثر المسلمون بالتراث اليوناني والفارسي، وبدأت حركة ترجمة محدودة لبعض الكتب العلمية، خاصة في الطب، مما مهّد لازدهار هذه العلوم في العصور اللاحقة.

ثانياً: التوصيات

- ضرورة الاهتمام بدراسة التراث الثقافي والفكري الإسلامي في هذه المرحلة بوصفه أساساً للنهضة العلمية والحضارية.
- تشجيع الباحثين على التعمق في دراسة تطور العلوم والمعارف في العصر الأموي وربطها بما سبقها من مراحل.
- تعزيز العناية باللغة العربية وعلومها لما لها من دور محوري في حفظ التراث الإسلامي وفهمه.
- الاستفادة من التجربة الحضارية الإسلامية في بناء منظومة فكرية معاصرة قائمة على التوازن بين الدين والعلم.
- دعم الدراسات المقارنة بين الحضارة الإسلامية وغيرها من الحضارات لإبراز جوانب التأثير والتأثر.
- إدخال موضوعات التاريخ الثقافي والفكري الإسلامي ضمن المناهج الدراسية بصورة أوسع لتعزيز الهوية الثقافية.

المصادر

القرآن الكريم

- ابن عساكر ، علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ) ، التاريخ الكبير ، دمشق ، مطبعة روضة الشام ، ترجمة : عبد الرحمن بن غنم، ١٣٢٩هـ.
- ابن هشام ، ابن محمد عبد الله المعافيري (ت ٢١٣) ، السيرة النبوية لابن هشام ، القاهرة ، ط ٢، ١٩٥٥ .
- ابن عبد ربه ، ابو عمر احمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ) ، العقد الفريد ، وتصحيح أحمد أمين واحمد الزين واخرون ، القاهرة ، ١٢٦٧هـ / ١٩٤٨م.
- ابن سعد، الطبقات الكبرى، (٥ / ١٣٢)، ط بيروت ١٩٥٧.
- أحمد، عبد الرزاق أحمد: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- أمين، أحمد ، فجر الإسلام ، بحث عن الحياة العقلية في صدر الإسلام إلى آخر الدولة الأموية ، شركة نوابغ الفكر للنشر، مصر، ٢٠٠٨.
- البلاذري ، احمد بن يحيى (ت ٢٧٩) ، فتح الفتوح ، الطبعة الأوربية .
- الباليساني ، أحمد الشيخ محمد ، نظرة الى المرأة والرجل في الاسلام ، بغداد - مطبعة العاني ، ١٤٠١هـ / ١٩٨٥م .

- الحكم النيسابوري ، أبو عبد الله ، المستدرك على الصحيحين ، حيدر أباد الدكن ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، ١٣٤١هـ.
- حمادة ، محمد ماهر ، الكتب والمكتبات في العصر الأموي ، المجلة العربية ، ع / ٤ - ٥ ، مج ٣ (جمادى الآخرة ١٣٩٩هـ / أيار (مايو) ١٩٧٩ م .
- الدفاع ، علي عبدالله ، الفلك وأثره في الحضارة العربية والإسلامية - المجلة العربية مج / ٤ ، ع / ٨ (١ / ١٤٠١هـ ، ١١ / ١٩٨٠ م) .
- الذهبي ، شمس الدين (ت ٧٤٨ هـ) ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط ، تقديم: بشار عواد معروف ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، ط ٣ ، ج ٢٥ ، ١٩٨٥ .
- شاكر ، سلام محمود ، أثر الدوافع الدينية في تطوّر الحضارة العربيّة الإسلاميّة حتى نهاية العصر العباسيّ الأوّل (١هـ - ٢٣٢هـ) ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة الجنان ، طرابلس - لبنان ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ٢٠٢٣ .
- الشطي ، أحمد شوكت ، العرب والطب ، دمشق - مطبعة وزارة الثقافة ، ١٩٧٠ .
- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك ، كتاب الوافي بالوفيات ، ج ١٣ ، باعتناء: محمد الحجيري - فيسبادن (ألمانيا): فرانز شتاينر ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
- الطبرسي ، الحسن رضي الدين ، مكارم الاخلاق ، القاهرة ، ١٣١١هـ
- الطويل ، توفيق ، العرب والعلم في عصر الاسلام الذهبي ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٨
- عبد الباقي ، محمد فؤاد ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، دار الفكر ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- العلي ، صالح ، الرواية والأسانيد واثرها في تطوير الحركة الفكرية ، مجلة المجتمع العلمي العراقي ، مجلد (٣١) ، لسنة ١٩٨٠ .
- عبد الرحمن ، حكمت نجيب ، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب " ، ط ٤ / ، جامعة الموصل ، ١٩٧٧ .
- الكروي ، ابراهيم سلمان ، وعبد التواب شف الدين ، مرجع في الحضارة العربية الاسلامي ، الكويت ، ١٩٨٧ ، ص ١٨ .
- الفراجي ، عدنان علي كرموشي ، الحياة الفكرية في المدينة المنورة (القرنين الأول والثاني الهجري) رسالة دكتوراه - (جامعة بغداد) ، كلية الآداب ، ١٩٩٢ -

الحياة الثقافية والفكرية في عصر النبوة وصدر الإسلام حتى نهاية العصر الأموي

(١ هـ / ٦٢٢ م - ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م)

م.م. ديانا ثائر كمال ابراهيم

- الفحام ، محمد ، ومحمد ، احمد خلف الله وآخرون ، **عمر نظرة عصرية جديدة** ، طاء لبنان - مطبعة المتوسط ، ١٩٧٣ م .
- فروخ، عمر، **تاريخ العلوم عند العرب**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٧٠،
- فياض ، عبد الله ، **محاضرات في تاريخ صدر الاسلام والدولة الأموية**، مطبعة الارشاد، ط١، بغداد، ١٩٦٧
- القرش ، عبد الوهاب ، **العلاقات الحضارية**، ٢٠٢٠.
- الكتاني ، محمد عبد الحى، **التراتب الادارية** ، دار الأرقم ، ط٢ ، تحقيق : عبدالله الخالدي ، ٢٠٠٨.
- المتقي الهندي ، علاء الدين بن حسام الدين (ت ٩٧٥ هـ) ، **كنز العمال في سنن الاقوال والافعال** ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٩ ، ج ١٠ ، ص ١٣٢.
- مسلم ، ابن حجاج القشيري (ت ٢٦١ هـ) : **صحيح مسلم** ، تحقيق ، محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت .
- المهودي ، نور الدين علي بن أحمد المدني (ت ٩١١ هـ) ، **وفاء الوفاء بإخبار** ، دار المصطفى : تحقيق محمد الدين عبد الحميد ، بيروت ، دار احياء التراث العربي ، ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م .
- المصنف، عبد الرحمن أحمد حفظ الدين ، **الحركة العلمية في العصر الأموي في المشرق الإسلامي**، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة صنعاء، اليمن ، ٢٠٠٠.
- موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي ، **العصر الأموي** ، المجلد الثاني ، دار سفير للنشر، القاهرة ، مصر، ١٩٩٦.
- النجار، عامر، **في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية**، القاهرة، دار الهداية، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
- نهج البلاغة ، **شرح محمد عبده** ، بيروت - لبنان ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بلات.